التي هي عمدة الطالب في هذا الباب ثم اورد بعد ذلك ما وقع فيها
للعرب والفحول واذا انتهت الغاية الى طلاوة المتاخرين واوردت لهم
محاسن تلك الطلاوة وما ظهر في قطرهم النباتي من الحلاوة شرعت
في الكلام على انواع التورية ليسير ركب الادب في طريقها المتشعبة
بدليل وبصير لديباج هذا البز المنوع تفصيل وجردت سيف العزم واقمت
لكل نوع حدا ونظمت من انواع التورية واقسامها في هذا السلك عقدا فان فقد
التورية عن الناس بمعزل ولكن لوافدها في رحاب هذا المصنف خير منزل
فانها من اغلا فنون هذا البديع واعلاها رتبة واعظمها في الاذواق
السليمة موقعا ولكن رايت جماعة من المتاخرين عدلوا عنها الى الجناس وهو
سافل بالنسبة الى علو مقامها في البديع والجناس غير مذهبي ومذهب من
نسجت على منواله من اهل الادب وكذلك اشتقاق الالفاظ فان كلا منهما
يودي الى العقاده والتقييد عن اطلاق عنة البلاغة في مضمار المعاني
المبتكرة كقول القايل واستحي اقول انه ابو الطيب المتنبي

فقلقلت بالهم الذي قلقل الحشا ... قلاقل عيش كلهن قلاقل

ولقد تصفحت ديوانه فلم اجد لوافد هذا النوع نزولا الا فيما قل من ابياته
ولا الوب من قبله ختمت ابياتها عليه غير ان هذا البيت حكمت على ابي
الطيب به المقادير ومثله قول القايل

وقبر حرب بمكان قفر ... وليس قرب قبر حرب قبر

فها فيه على قرب وقبر لاجل الجناس المقلوب هو الذي قلب عليه القلوب
اللهم الا ان يقع الجناس في حشو بيت من المجود الذي يحمل ثقله من غير احتفال
بامره كقول القايل لله لينا كلما بتنا على ... تغنيها ولهودها تتقاعد

وبنا

وبنا اسما وهي اسمى رتبة ... لقد احترقت وريقها يتبارد

ففي طلعة شموس التورية هنا ما يغني عن زحل الجناس ولقد احسن من قال

انظر الى صور الالفاظ واحدة ... وانما بالمعاني تعشق الصور

والجناس من صور الالفاظ وقال علامة عصره الشهاب محمود الجناس يحسن
اذا قل في الكلام واتى عفوا من غير كد ولا ميل ولا تلون كقول الاعشى

سلت وسلت ثم سل سليلها ... فاتى سليل سليلها مسلولا

ولا باس به في مطالع القصايد ان تركيبه تعذر على الناظم ان تركيبه توريه
فانه نوع متوسط بالنسبة الى ما فوقه من انواع البديع كالتورية والاستخدام
والاستعاره والتشبيه وما قارب ذلك وحكى ابن جني عن الاصمعي انه كان
يدفع قول العامة اذا قالوا يجانس هذا اذا كان من شكله ويقول هذا
ليس بعربي خالص وقال ابن رشيق صاحب العمدة الجناس من انواع الفراغ
وقلة الفايده ومما لا نشك في تكلفه وقد كثر منه هولا السادة المتصنعون
في نظمهم ونثرهم حتى برد ورك انتهى قول ابن رشيق قلت ولم
يحتج اليه ويكثر استعماله الا من قصر همته عن اختراع المعاني التي هي
كالنجوم الزواهر في افق الالفاظ واذا اخلت بيوت الالفاظ من سكان
المعاني تنزلت منزلة الاطلال البالية ويعجبني قول الفاضل هنا

انما الدار قبل بالسكان ... ثم بعد السكان بالجيران

فاذا ما الارواح زدها الحتف ... فماذا يراد بالابدان

وكان الشيخ صلاح الدين الصفدي رحمه الله تعالى يستسمن ورم الجناس وينظمه
نظما فيشبع افكاره منه ويملا بطون دفاتره ويأتي فيه بتراكيب تخف عندها محمود
الجبال كقوله ونم في امان الحبيب ولا تخف ... لقايط واثق في لقاء طواشي

Copyright © King Saud University